مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: نشـــرة المعلومـــات

التاريخ : ١٩٧٣/٢/٢٨

نشرة خاصـــــة

١٩٧٣/٢/٢٨

حرب القنـــاة :

الاختيارات الاستراتيجية لدى السادات

بقلـــم

دكتور لورنس ل. هـــــويتـــــين

الأستاذ بجامعة جنوب كاليفورنيا

* مجالات الاختيـــــار .
* مضمون انسحاب السوفييت .
* الميزان العسكـــرى .
* فرص الاختيار المصريـــــة والاسرائيلية .
* متى يحين استئناف القتال .

مجلة (ورلد ـ تو ـ داى)

فبراير ١٩٧٣

٢٠٢١٦

الخيارات الاستراتيجية أمام السادات فى حرب القناة

ظلت العلاقات بين مصر والاتحاد السوفييتى فى حالة توقف منذ أن أصدر الرئيس السادات قراره المثير بترحيل المستشارين العسكريين السوفييت فى يوليو الماضى . غير أن الضغوط الداخلية ضد السياسة المخيبة للآمال التى يتبعها السادات بشأن اللاحرب واللاسلم ، قد أدت الى القاء القبض على مئيرى الشغب من الطلبة ، واغلاق الجامعات المصرية . ولقد انتقلت حالة القتال النشيط الى الجبهة السورية ، مهما كان عدم أهميته . وبالتالى فقدت مصر مكان الصدارة ، فى عناوين الصحف على الاقل ، بوصفها الدولة التى تقود دفة الحرب ضد اسرائيل .

وفى هذه الظروف ، قد يشعر الرئيس السادات فى وقت قريب انه اصبح لزاما عليه القيام بتحرك جديد ، بعد ستة اشهر من ترحيل السوفييت ، اذ كان يريد الاحتفاظ بزمام المبادرة الذى استحوذ عليه من جراء ترحيلهم . ولربما كان من بين مجالات الاختيار المتاحة أمامه ، قيامه بصفة شخصية بمناشدة الولايات المتحدة كى تبدى مزيدا من التفهم ، وكذلك يمكنه المطالبة بقيام وحدة عربية فعالة ، لها من الادلة ما يثبت وجودها . ويمكن للسادات أيضا ان يعمل على التقارب من جديد مع الاتحاد السوفييتى ، او ان يلجأ مرة اخرى الى القتال على طول القناة بوصفه نذيرا بتسوية سياسية .

ولقد دأب السادات طوال الاشهر الماضية على الاعراب عن خيبة أمله تجاه سلبية الولايات المتحدة ، أو عدم اكتراثها بالتسوية السياسية ، ولا يحتمل أن يضع السادات آماله فى أن تهب الولايات المتحدة لنجدته من موقفه المحاصر فيه .

ومن ناحية أخرى فان الوحدة العربية تبدو اكثر مراوغة من أى وقت مضى ، بل ان اجتماع القيادة العسكرية العربية الذى عقد فى نوفمبر قد ساده التفكك بدلا من التماسك اذ تتحول ليبيا على نحو متزايد الى شريك يصعب التعامل معه . وقد حدث بعد المعارك الاخيرة بين اسرائيل وسوريا ، أن هددت الاخيرة بالانسحاب من الاتحاد الثلاثى مالم تؤمن لها شريكتيها فى الاتحاد المزيد من التعاون (صحيفة التايمز البريطانية فى ١٥ يناير ١٩٧٣) .

مجالات الاختيار ..

ومع دخول السادات فى عام " لا سلم ولا حرب " آخر ، فان مجالات الاختيار المتاحة أمامه لكسر الجمود الذى اصاب فرص التسوية السياسية ، تنحصر بدرجة كبيرة فى الاختيار العسكرى . ويلزمنا لتحليل مجالات الاختيار الاستراتيجية أمام السادات ، أن نعمل على تقييم الاثار المترتبة على ترحيل السوفييت .

والواقع ان قرار الرئيس السادات بترحيل المستشارين العسكريين السوفييت كان بمثابة الحدث المنفرد البالغ الاهمية فى الصراع العربى ـ الاسرائيلى منذ قرار السوفييت اعادة تسليح العرب بعد هزيمتهم فى حرب ١٩٦٧ . ولقد اكدت الادلة التى ظهرت مؤخرا ، ان انسحاب الروس كان اوسع نطاقا مما اوحى به الرئيس السادات فى البداية .

لقد سارع افراد الاطقم التى كانت تعمل فى صيانة وتشغيل بطاريات الصواريخ (أرض ـ جو) وطائرات الميج ٢١ و ٢٣ ، بالرحيل عن مصر ، كما عادت الاطقم التى كانت تضطلع بعمليات المراقبة واستطلاع تحركات الاسطول السادس الامريكى ، الى وطنها . وسيطرت مصر من جديد على ست قواعد جوية كانت تابعة للروس ، كما عادت مصر لممارسة سلطتها الوطنية بصورة اكثر حزما على التسهيلات البحرية التى كان السوفييت يستأجرونها .

ولقد زعم الرئيس السادات ان جميع المعدات والاسلحة التى كان السوفييت يشغلونها ستؤول ملكيتها لمصر ، برغم ان تأكيدات الرئيس المصرى لم ترد بها أية اشارة الى طائرات (تى ـ يو ١٦) أو الميج ـ ٢٣ ، وربما ايضا صواريخ (سام ـ ٤) و (سام ـ ٦) . غير أنها تضمنت ، مع ذلك ، بعض المنشآت الثابتة والهامة مثل مبينات الرادار الخاصة بالدفاع الجوى ، ومراكز التحكم الجوية . ولم يبق على حاله من قوة الردع المصرية السوفييتية السابقة سوى كادر صغير .

مضمون الانسحاب السوفييتى ..

والواقع انه ينبغى ان نضع فى الاعتبار عدة عوامل عند تقييمنا لمضمونات الانسحاب السوفييتى من مصر :

أولا : استبعاد الاتحاد السوفييتى من أية مسئولية عن الدفاع عن مصر .. فلقد كان الاشتباك السوفييتى فى مصر نتيجة مباشرة لتصعيد اسرائيل لحرب القناة من خلال الهجمات الاستراتيجية على الاعماق المصرية . كما كانت مساهمة السوفييت فى نظام الدفاع الجوى بمثابة العائق الاساسى ضد قيام اسرائيل بتوجيه مزيد من الضربات ، مثلما كانت عاملا رئيسيا فى الحيلولة دون تصعيد النزاع . غير ان هذا الالتزام قد جرى التخلى عنه الآن .

ثانيا : انه على حين تلقت القوات المسلحة المصرية تدريبا ضخما طوال السنوات الخمس ، فان مستوى الكفاءة مازال موضع جدل مرير . ويصر المستشارون السوفييت على ان افراد القوات المسلحة المصرية غير قادرين على استخدام المعدات الاكثر تعقيدا بكفاءة . ومع انتفاء الضوابط السوفييتية بصفة فعلية الآن فان نتائج أية عمليات قتالية فى المستقبل ستقع مسئوليتها على القاهرة الى حد كبير .

ثالثا : اصبح من المعتقد بصورة عامة ان التدريب السوفييتى لافراد الصيانة لا يرقى الى مصاف تدريبهم للمقاتلين . والواقع انه ربما كانت موسكو تتعمد استخدام مسألة صيانة المعدات كوسيلة لضمان نفوذها ، نظرا لان انسحاب الفنيين تكون له آثار اشد خطورة من رحيل القوات السوفييتية . كما ان الاسلحة الحديثة تتطلب صيانة وقائية دائمة ، وفحص مستمر ، اذ بدون النظام والعناية الشاملة والمنتظمة ، تتضاءل امكانية الاعتماد بسرعة على مثل هذه الاسلحة ، وليس ثمة شك فى أن بعض المصريين لديهم الخبرة الكافية لصيانة اية معدات بقيت ، غير أن خبرتهم ليست كافية لصيانة جهاز الدفاع الجوى بأكمله ، وبنفس مستويات الكفاءة السوفييتية .

رابعا : ويتعلق هذا العامل بالسبب الرئيسى الذى دعا السادات الى اتخاذ قرار ترحيل السوفييت • وهو مسألة توريد الاسلحة السوفييتية " الحاسمة " • ففى ٢٤ يوليو ، كشف الرئيس السادات النقاب عن انه كان قد طلب لاول مرة من الروس تزويده بطائرات ميج ـ ٢٣ للتصدى لطائرات (ف ـ ٤ الاسرائيلية) ، وقالت صحيفة " الاجيبشيان جازيت " (٧٢/٧/٢٥) انه تقدم بهذا الطلب للمرة الاولى فى مارس ١٩٧١ •

والمعروف ان طائرة " فوكسبات" تتفوق على الفانتوم كطائرة اعتراضية ، ويمكنها ردع الغارات الاستراتيجية الاسرائيلية • فاذا قام المصريون بقيادتها ، فان ذلك كان يتيح سحب اطقم الطيارين السوفييت • وفى رأى موسكو ، أن طائرة الفوكسبات على درجة كبيرة من التعقيد وأن تدريب الطيارين المصريين عليها يتطلب خمسة أعوام ، على حين أصر المصريون على أن الامر لا يستغرق أكثر من ستة شهور لتدريب الطيارين ذوى الخبرة فى قيادة طائرة الميج ـ ٢١ •

وقد تم التوصل الى حل وسط ، وافق بمقتضاه ، السوفييت على تزويد مصر بطائرات الميج ـ ٢٣ وأطقم العاملين عليها ، والبدء فى تدريب الطيارين المصريين ، الا ان برنامج التدريب لم يبدأ مطلقا ، كما لم يصل الى القاهرة سوى اربع طائرات من طراز فوكسبات •

ويبقى فى النهاية مسألة الذخيرة وقطع الغيار • ان الغرب لا يعرف الكثير عن كمية ونوع الذخيرة التى يجرى تصنيعها فى مصر ، غير ان الارجح هو ان الانتاج ليس مرتفعا ، كما انه من المؤكد انه ليس كافيا لعمليات عسكرية متواصلة • وبالمثل ، فان المحتمل هو الا يكون لدى المصريين سوى مقدرة هامشية للانتاج المحلى لقطع الغيار الخاصة بالاسلحة السوفييتية • وفى كلتا الحالتين ، فان المخزون ربما كان كافيا لاحتياجات التدريب والصيانة لمدة اشهر ، ومن ثم يمكن الاستعانة بتفكيك بعض المعدات والحصول منها على قطع الغيار الحيوية لفترة اطول ، برغم ان ذلك سيكون على حساب اجمالى الموجودات من الاسلحة • ومن ثم سيكون موضوع استمرار تزويد مصر بالعتاد وقطع الغيار من أهم الموضوعات التى سيبحثها المصريون مع الروس ، كما انها ستكون موضوعا لمساومات قاسية •

وأهم مايلفت الانظار فى كل هذه العوامل ، هو ان طبيعتها وقتية ، فلا تكتسب صفة الدوام ، فلقد أبدت القاهرة اهتماما كبيرا باستمادة العلاقات العسكرية الطيبة مع السوفييت . ودأبت " الاهرام " على الثناء على الصداقة السوفييتية ـ المصرية ، كما دعا الرئيس السادات علنا الى عقد اجتماع قمة مع الزعماء السوفييت .

وفى الاسبوع الثانى من اكتوبر ١٩٧٢ ، اجتمع الدكتور عزيز صدقى مع كوسيجين ومودجورنى فى موسكو ، ثم قام وفد عسكرى سوفييتى بزيارة طويلة للقاهرة . غير ان نتائج الزيارتين لم تكن قاطعة او مقنعة . فلقد اصبحت موسكو تتروى بشدة فى تقييم خطوتها التالية مع مصر . ولم يكن هناك مجال للاعمال المتسرعة كتوقيع المعاهدة السوفييتية ـ المصرية ، غير انه فى صالح الحكومتين ان تحاولا اقامة اساس اكثر سلامة للتعاون العسكرى بينهما ، وعلى هذا الاساس ، فان العوامل السالفة الذكر ربما كانت موضع تأمل عميق وسيجرى تقييمها على ضوء تطورات الاشهر الماضية على جانبى القناة .

خلفية حالة الركود الحالية ..

ان التحسن الكلى والنوعى فى مجال العتاد والسلاح لدى كل من مصر واسرائيل ، قد وصل الى درجة انه يحلول الذكرى الرابعة لحرب يونيو (فى عام ١٩٧١) تساوى الجانبان تقريبا فيما لديهما من طاقات دفاعية وموارد هجومية محدودة . ومن ثم كانت هناك فترة استقرار فى مجال الردع المتبادل . ثم اخذت الولايات المتحدة تضاعف جهودها بهدف اعادة الازمة الى نطاق الحلول السياسية من خلال تأمين اتفاق مؤقت يكفل اعادة فتح القناة ، مع مساندة جزئية من جانب الاتحاد السوفييتى . ولقد تركز الاهتمام على المفاوضات على اسرائيل ومصر مرة أخرى .

وخلال صيف عام ١٩٧١ ، بدت مصر هى الاكثر مرونة ، ولكن مع حلول الخريف ، تداعت جهود الوساطة الامريكية مرة اخرى ، وركزت الدولتان اهتمامهما من جديد على شئون الدفاع .

ماذا فعلت اسرائيل ..

وقد ظلت اسرائيل شديدة الحساسية لصاعب استيفاء حاجتها على المدى الطويل ، اذ لا يمكنها ان تصبح قادرة تماما على الاكتفاء العسكرى ذاتيا بدون جهد قوى ينوق طاقة البشر تقريبا ، وهى لاترى حاجة لمثل هذه التضحيات ، فضلا عن ان المشتروات الاجنبية تعتبر مهمة فى الحفاظ على العلاقات الدولية وتجنب العزلة التى تخشاها . وهكذا ، ففى خريف ١٩٧١ ، قامت ببذل جهد منسق للحصول على ضمانات امريكية بحقوق استيفاء الحاجة على المدى الطويل ، وبصفة اساسية من المعدات الالكترونية والطائرات وفى أول نوفمبر وقعت الولايات المتحدة اتفاقا لتقديم التراخيص والخبرة الصناعية للمعدات العسكرية المتخصصة لاسرائيل . وتضمنت المطالب الاسرائيلية معلومات من اجل أجهزة النقل للدبابات (TANK TRANSMISSIONS) والآلات النفاثة ٧٩ ـ J للفانتوم . ولم يحدث الا فى ٦ فبراير ١٩٧٢ ، ان اعلنت الولايات المتحدة بطريقة غير رسمية انها سوف تبيع لاسرائيل أجهزة F4 ـ 42 و 4N ـ 90A على فترة ثلاثة أعوام ، وانه قد تم الاتفاق رسميا على بيع التراخيص ، والخبرة التكنولوجية لانتاج اسلحة متقدمة فى اسرائيل .

أمريكا قللت من سلطانها على اسرائيل ..

وكانت المشكلة الرئيسية ، من وجهة النظر المصرية ، هى بيع التراخيص لانتاج أسلحة متقدمة ، وليس بيع طائرات الفانتوم ف ـ ٤ ، التى كان الجانبان يعتبرانها وقتئذ اشد العناصر حيوية فى سباق التسلح . وقد أظهر الترخيص بانتاج هذه الاسلحة فى اسرائيل ، التزاما امريكيا اكبر مدى بتفوق اسرائيل أكثر من أية خطوة مفردة سابقة ، وقد كان من شأن الناحية الصناعية ، ماسمح للاسرائيليين بتحويل موارد ضخمة الى المتطلبات العسكرية الاخرى .. وأخيرا فانه يجعل اسرائيل قادرة على صناعة طائراتها الخاصة

بفضل انتاج الجزء الحيوى للمحرك ، قللت الولايات المتحدة من سلطتها الخاصة فى كبح جماح اسرائيل مستقبلا .

وهكذا يرى الاتفاق على انه دليل آخر على تنازل أمريكى فى مجال شئون الشرق الاوسط والنزاع العربى الاسرائيلى ، الامر الذى قد يكون له خطورته اذا ما حاولت الولايات المتحدة ان تؤكد زعامتها من جديد فى وقت لاحق مستقبلا .

فى مصر ..

ومع مجىء يناير ١٩٧٢ كان موقف السادات فى الداخل قد تدهور بدرجة كبيرة ، وأصبحت اضطرابات العمال والطلبة المتمركزة حول المطالبة بمزيد من الزعامة الواثقة ومزيد من الاستعدادات العسكرية الفعالة للحرب ، أمرا أكثر وضوحا وقد زال الوهم لدى المعارضين ازاء عجزه عن استئناف القتال فى اطار الجدول الزمنى الذى وضعه لنفسه ، وطالبوا بعمل ايجابى .

وبعد زيارة غير حاسمة لموسكو فى فبراير ، صرح السادات فى اجتماع للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى فى ابريل بان اتحاد الجمهوريات العربية قد قرر تخفيض أعتماده على المساعدة السوفييتية ، التى اصبحت مقيدة ، بانشاء صناعات اسلحة لانتاج أكبر جانب منها محليا .

وكان السادات قد قال فى الخرطوم يوم ١٦ مارس : " لقد حصل المصريون على وسائل لصناعة الاسلحة المتقدمة محليا ، وكذلك حصلنا نحن أيضا . فضلا عن اننا سوف نتمكن قريبا من تصنيع كافة الاسلحة المتقدمة محليا . (ذى ايجبشيان جازيت ٧ مارس ١٩٧٢) . وقد وضع اصرار السادات " على المضى قدما وحده " ، موسكو امام اختيار صعب ، فاما ان تقبل مطلبه بالحصول على " أسلحة حاسمة " أو ان تغامر بان تعرض للخطر سياستها الزمنية لتحقيق نفوذ سياسى عن طريق مساعدات السلاح .

وبدلا من ان تحد موسكو من خسائرها اختارت مرة اخرى بحذر أن توسع من نطاق

التزاماتها . ففى ١٢ ابريل صرح السادات امام اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى بأن الاتحاد السوفييتى سوف يساعد مصر وليبيا على بناء اول محطة طاقة ذرية فى الشرق الاوسط لخدمة البرنامج المشترك لازالة ملوحة مياه البحر . (هيرالد تريبيون الدولية ٢٦ ابريل ١٩٧٢) . ومن المفترض ان هذا المصنع سيكون مماثلا لمصنع ازالة ملوحة مياه البحر المقام على بحر قزوين الذى ينتج مواد قابلة للانشطار مماثلة لما يستخدم فى الاسلحة . (لم يتم الكشف عن تفاصيل العقد) . واذا ماكان الاتحاد السوفييتى سيقوم بتقديم اليورانيوم المشع فلابد من فرض اجراءات وقاية صارمة بمقتضى بنود اتفاقية منع التلوث النووى . ومع ذلك ، فقد يقوم العرب بشراء اليورانيوم الطبيعى من الاسواق الحرة ، ويقومون بتشغيل المصنع دون رقابة . وتستغرق العملية الاخيرة وقتا اطول لتجميع مواد قابلة للانشطار مماثلة لما يستخدم فى الاسلحة .

ومما يذكر ان هناك تقديرا مفاده ان لدى اسرائيل من البلوتونيوم الآن ، مايكفى لصناعة مابين ست وثمانى قنابل مماثلة لتلك التى ألقيت على هيروشيما . كما جاء فى مقال ايماى ريوكيشى " الضوابط النووية " ، اوراق ادلفى رقم ٨٦ ـ مارس ١٩٧٢ .

وسواء قرر العرب فى نهاية الامر انتاج اسلحة نووية ام لا ، فهذا امر اقل صلة بالموضوع ، عن حقيقة انهم يحاولون الايحاء بانطباع مفاده الاستعداد لصراع طويل الامد مع تحمل اقسى النتائج . ومما له أهميته ان الاتحاد السوفييتى ظهر مرة أخرى بمظهر من يساعد العرب فى احتياجاتهم المباشرة .

الصواريخ المحلية ..

وتوحى الانباء المتردة فى القاهرة ، بأن السادات قد طلب المساعدة أيضا فى التغلب على مشاكل جهاز التوجيه الذى يعوق انتاج صواريخ مصر الثلاثة (اس . اس ١م) ، اذ كانت مصر خلال الحقبة الماضية تعمل على انتاج صواريخ الظافر (مداه ٢٣٥ ميلا) والقاهر (مداه ٣٧٥ ميلا) والرائد (مداه ٤٥٠ ميلا) والذى يمكنه حمل شحنات تصل الى مايزيد عن ٢٠٠٠ رطل .

وقد تم تطوير تلك الصواريخ بمساعدة مهندسى وفنيى ألمانيا الغربية ، الذين تم سحبهم من العمل فى منتصف الستينات ، قبل حل مشاكل التوجيه . وقد أجريت التجارب للمرة الاولى على الصاروخين الظافر والقاهر فى ١٩٦٢ ، وتمت تجربة الرائد الصاروخ ذى المرحلتين فى يوليو ١٩٦٣ .

والصاروخان الاولان ، من الصواريخ المتحركة ذات المرحلة الواحدة ، بينما يحتاج الاخير الى قاعدة ثابتة للاطلاق . وعندما تأكد فى اواخر ١٩٧٠ ان اسرائيل تنتج مابين ٦ الى ٨ من صواريخ (اس . اس . ام ـ اريحا) شهريا ، والتى يصل مداها الى مدى ٣٠٠ ميل وتحمل شحنة زنتها ١٥٠ رطل ، حاولت مصر اعادة تنشيط برنامجها الخاص للصواريخ . ومن المتفق عليه عامة ان مثل هذه الصواريخ ذات الحمولة الصغيرة والدقة المحدودة لها استخدام محدود فقط ، اذ يمكن للفانتوم (غد ـ ٤) أن تحمل عشرة أضعاف الشحنة التى يحملها الصاروخ أريحا . ومع وجود هذه القيود ، فان تلك الاسلحة ترتبط دائما بالرؤوس الحربية ذات القدرة على احداث دمار شامل ، نووى أو كيميائى ، ولكنها حتى لو زودت بمتفجرات عادية ، فان امامها فرصة معقولة لاختراق الدفاعات الجوية المعادية .

وهكذا فان تلك الصواريخ القصيرة والمتوسطة المدى لها دور ردع متبادل وهام . واذا ما ألحت مصر على طلب الحصول على مساعدة السوفييت لبرنامجها الخاص بالصواريخ فى المفاوضات المقبلة ، وقام الاتحاد السوفييتى بتقديم الخبرة اللازمة ، فسوف يحصل المصريون على نظير هام للضربات الاستراتيجية الاسرائيلية ضد وادى النيل ، وقد يتمكنون مرة اخرى من قصر المواجهة على القناة .

دفاع شديد القوة ..

وقد اظهر الحشد السوفييتى ـ المصرى خلال حرب القناة ان فى استطاعة الاتحاد السوفييتى ان يصدر شبكات دفاع جوية رئيسية ، بما فى ذلك مراكز " مبينات الرادار " و

" عمليات التنسيق الجوى " ، دون ان يؤثر ذلك على دفاعات حلف وارسو .

وقد تجاوزت كثافة حشود الرادار والاسلحة بدرجة كبيرة تلك الموجودة فى نيبتنام الشمالية ، التى تعتبر اشد دفاعات تم اعدادها منذ الحرب العالمية الثانية . ذلك ان ادخال صواريخ سام ٣ و ٤ و ٦ وأيضا طائرات سوخوى ـ ١١ وميج ـ ٢٣ ومايتبع كل نوع من أجهزة رادار مساعدة فى شبكات الدفاع الجوية المصرية ، وقد ادى الى تنوع المجال الكهربائى ، وعقد مشكلة الاجراءات المضادة بدرجة خطيرة ، وقد تم سحب جانب من هذه الاسلحة ، وماتبقى منها يثير تساؤلات حول مدى استعداده للعمل .

الميزان العسكرى ..

وفى الوقت الذى يعتبر فيه أن من السابق لاوانه التنبؤ بطبيعة المساعدة السوفييتية المستقبلة ، فمن الممكن ان نخمن نمط العمليات الهجومية والاجراءات الدفاعية التى يمكن أن تقوم بها مصر بشكل ملائم بالمعدات المتوفرة لديها .

ان القوات المسكرية على جانبى القناة متساوية تقريبا فى الحجم . وبالرغم من مزاعم مصر الاخيرة القائلة بعكس ذلك ، فان جيشها النظامى يتكون من حوالى ٢٧٥ ألف جندى موزعين فى ٣ فرق مدرعة و ٤ فرق آلية و ٥ فرق مشاه ، بالاضافة الى ٢٠ وحدة كوماندوز . وتشمل المعدات الميكانيكية ١٢٥٠ دبابة حديثة ، ١٢٥٠ من ناقلات الجنود ، وحوالى ١٨٠٠ مدفع ميدان . وتتكون قوة الدفاع الاسرائيلية (جيش الدفاع الاسرائيلى) من قوة اساسية قوامها ٧٢ ألف جندى نقط مقسمين الى فرقتين مدرعتين وفرقة من المظليين و ٤ ألوية مشاه . ويمكن ان تصل قواته فى حالة التعبئة العامة خلال ٧٢ ساعة الى ٢٧٥ ألف جندى ، مزودين بما يزيد على ألف دبابة حديثة ، وحوالى نصف عدد الطائرات المقاتلة المصرية . وهكذا فان كلا الجانبين متساويان تقريبا من حيث العدد ، لكن ربما يحتفظ جيش الدفاع الاسرائيلى بميزة تكنولوجية فى أداء الطائرات والمعدات العسكرية الالكترونية والعمليات الارضية المتحركة (انظر " الميزان العسكرى " : ١٩٧١ ـ ١٩٧٢ معهد الدراسات الاستراتيجية بلندن) .

نرص الاختيار المصرية والاسرائيليـــة :

ان الاختيار الوحيد الذى يتردد دائما بالنسبة للمصريين ينادى بالقيام بهجـــوم ضخم على شبه جزيرة سيناء بهدف تدمير تحصينات جيش الدفاع الاسرائيلى القائمة وانشـــاء رأس جسر لها قيمتها ، لكن الحدود المادية لمثل هذه العملية خطيرة اذ يمكن لمصـــر أن تنقل فى نفس الوقت بطائرات الهليكوبتر والزوارق البرمائية ١٠٠٠ مقاتل بمعداتهم ، لكن المستنقعات فى الشمال والبحيرات فى الجنوب سوف تقصر عمليات الانزال عبر القناة الـــتى يبلغ عرضها ٢٠٠ ياردة على قطاع ضيق طوله ٢٥ ميلا فى منطقة الاسماعيلية ـ وهى منطقـــة ملائمة بشكل مثالى للدفاعات الاسرائيلية المتحركة . يضاف الى ذلك أن اسرائيل قد انفقـت مايقرب من ٥٠ مليون دولار على تدعيم خط بارليف ، اذ اعادت بناء الاربعين موقع المحصنة التى كانت قائمة من قبل ، وأضافت خطا ثانيا مزودا بحوالى ٢٠ موقع حصين ، وشيـــدت سلسلة ثالثة من المراكز المحصنة فى اعماق سيناء . وهذه المواقع محصنة بطبقة سمكهـــا ١٦ قدما من الاسمنت . والصلب والرمال ينتظر ان تصمد فى مواجهة ضربة مباشرة من أكـبر مدفعية مصرية ، وهذه التحصينات مصممة بقصد توفير حماية للقوات خلال عمليات القصـــف وتوفير قوة نيران لمساندة العمليات المتحركة .

فاذا حاول المصريون النزول على الضفة الشرقية ، فلن يكون عليهم اسكات تلـــك المواقع فحسب ، بل يجب عليهم ايضا احراز تفوق فى قوة النيران على كلا جانبى منطقـــة المبور .

ولا يمكن تحقيق مثل هذه السيطرة على ساحة المعركة ، الا من خلال التفوق الجوى .

وتقول التقديرات ان الامر يتطلب مابين ٥٠٠ ـ ٧٠٠ طائرة يقودها السوفييـــت للتغلب على سلاح الطيران الاسرائيلى . وحتى حينئذ سيكون النجاح مشكوكا فيـــه ، لان بعض المتخصصين يعتقدون ان الامر سوف يتطلب عددا يصل الى ١٠٠ر٠٠٠ من القـــوات المدرعة والمدفعية السوفييتية لاقامة رأس الجسر والاستفادة منه ومثل هذه الاحتمالات بعيدة ، ومن ثم تستبعد اى هجوم ضخم بوصفه اختيارا معقولا .

الامكانية الضربة الثانية ..

والامكانية الثانية هى غارات الكوماندوز . فقد تردد عن مصادر موثوقة ان الـــروس قد ضاعفوا فجأة فى صيف ١٩٧١ عدد طائرات (MI - 6) الهليكوبتر ، اربعـــة أضعاف . ويمكن للطائرة الواحدة منها ان تحمل فصيلة مسلحة تسليحاً كاملا من ٨٠ جنديا وهى طائرة ملائمة تماما لمثل هذه العمليات " . وفى نفس الوقت بدأت عمليات التدريـــب الليلى للقيام بعملية واسعة النطاق ضد شرم الشيخ . ولربما امكن للمصريين مـــع الاستعدادات الملائمة القيام بذلك على اساس الهجوم بعد غروب الشمس والانسحاب قبـــل شروقها ، لكن فرص هزيمة الحامية الموجودة هناك والاحتفاظ بالتحصينات فرص بعيـــدة ، ولربما يؤدى الهجوم الى خسائر فادحـــة .

ما هو أكثر احتمالا ..

ان الاختيار الاكثر احتمالا بالنسبة للمصريين هو القيام باستئناف عمليات القصـــف الكثيفة بنيران المدفعية ، بهدف حرمان جيش الدفاع الاسرائيلى من مزايا تفوقه التكنولوجى وارغام اسرائيل على ان تحارب طبقا لشروطهم (المصريين) .

وتدرك القاهرة ان عمليات القصف الثقيلة التى يحبذها الروس قد ألحقت أضـــرارا بجيش الدفاع الاسرائيلى فى ربيع وصيف ١٩٦٩ . فلقد كان على جيش الدفاع الاسرائيلى ، قبل أن يلجأ الى الهجمات الاستراتيجية ، ان يقاتل بالاسلوب الذى يفضله المصريـــون ـ الحرب الثابتة ـ الذى توازن مصر فيه ، بما لديها من ميزة فى العدد والمواد الخام ، ارصدة اسرائيل التكنيكية .

لكن لابد من توفر شيئين اذا ما ارادت مصر العودة الى هذا الاختيار .

الاول : عليها ان تردع اسرائيل على وجه فعال عن شن هجمات استراتيجية علـــى العمق المصرى ، ويفضل ان يكون ذلك بقوة متضائلة من طائرات (تى يو ـ ١٦)

المزودة بصواريخ (جو ـ سطح) وطائرات ميج ٢٣ والصواريخ (سطح ـ سطح)

والثانى : هو ان لابد ان يكون لديها معدات دفاع جوى ارضى قوى بما فيه الكفاية للاشتباك مع الجانب الأكبر من سلاح الطيران الاسرائيلى .

وبعبارة اخرى ، فان هدف الدفاعات الجوية على الضفة الغربية لايجب أن يكون بالضرورة كسب التفوق الجوى ، ولكن مجرد تحويل الطيران الاسرائيلى عن مهاجمة مدفعية الضفة الشرقية . ويمكن لمصر ان تزيد من تعقيد مشكلة استخدام السلاح الجوى الاسرائيلى ، بالقيام بغارات جوية فى داخل سيناء على محور شمالى ـ جنوبى . ومثل هذه الاستراتيجية سوف يوفر لها احتمالا معقولا للعودة بالقتال الى عمليات القصف المدفعى المنتظمة ، فى الوقت الذى تحرم مصر فيه اسرائيل من فرص التصعيد السابقة .

الخيارات الاسرائيلية ..

وأمام اسرائيل ، أيضا ثلاث فرص اساسية للاختيار .

أولا : انها تستطيع ان تنصر ردودها على منطقة المعركة فى الضفة الغربية . ويتمتع الجيش الاسرائيلى بدرجة معقولة من الثقة فى ان معداته الالكترونية المضادة " وقنابل سمارت " الموجهة باشعة ليزر تستطيع ان تتغلب على أنظمة الدفاع المصرية . واذا لم يتدخل الروس ، ربما تستطيع اسرائيل تكرار انتصارها فى ١٩٦٩ فى الضفة الغربية ولكن بثمن اعلى الى حد كبير .

ثانيا : فى وسعها استئناف الضربات الاستراتيجية والغارات الفدائية فى العمق ، ولكن لابد ان يوضع فى الحسبان مخاطر قيام المصريين بانتقام محدود على المدن الاسرائيلية تساندها انظمة الدفاع السوفييتية (اذا امكن اصلاح العلاقات بين موسكو والقاهرة) .

ثالثا : لدى جيش الدفاع الاسرائيلى المقدرة على تدبير هجوم جوى ـ برى على نطاق

واسع فى الضفة الغربية بهدف صد القوات المسكرية المصرية وهزيمة الجـــزء الاكبر منها واملاء شروط السلام على حكومة محطمة .

ان دمشق والقاهرة أكثر عرضة للخطر الان من القدس وتل أبيب بسبب خطوط الامـــر الواقع المسكرية القائمة حاليا . ولكن ايقاع هزيمة ساحقة بالعرب سيكون كارثة كـــبرى بالنسبة للمصالح المسكرية والسياسية السوفييتية . وفى حالة عدم الحيلولة دون حـــدوث ذلك عن طريق اجراء من جانب الدول الكبرى ، فان احتمال وقوع هذه الهزيمة سيـــؤدى الى خطورة توزيع الوحدات المقاتلة السوفييتية توزيعا مباشرا . (وهذا يفترض أن معاهدة الصداقة ستنجو من التوتر الحالى وتوفر اطارا للتدخل السوفييتى اذا دعت الحاجة) .

واذا عاد الانسجام بين السوفييت ومصر وظهر من جديد خطر التدخل السوفييتى سيظل الرادع الاسرائيلى ـ السوفييتى المتبادل السابق متوازنا تماما ، اى ان احتمـــال التدخل السوفييتى سوف يردع خطر شن هجوم اسرائيلى شامل . وتفضل اسرائيل عـــدم استئناف القتال ، ولكن ، اذا هوجمت ، فان هذه الاعتبارات توحى بأنها ستحـــاول احتواء الاشتباكات على ادنى مستوى من العنف وتحول بذلك دون تورط السوفييت . ويوحى هذا التفكير ايضا بان اسرائيل قد لاتستعرض بعد ذلك احتقارها السابق للقـــوة المسكرية العربية وهو موقف قد تختار فيه تخفيف تصلبها السياسى الحالى بدلا من قبول الخسائر الجسيمة التى يفرضها نشوب قتال على نطاق واسع .

لقد كان من المعتاد التقليل من شأن مركز العرب المسكرى والمزايا الكامنـــة فى وضعهم الحالى . ولكن ، مع التسليم بمقدرتهم على تحمل خسائر بشرية ، فان البرنامج الذى أعلن فى عام ١٩٧٢ لتحسين استعدادات الحرب قد يكون تعويضا كافيا لبراعـــة اسرائيل على الصعيد التكنولوجى . فاسرائيل لاتستطيع ان تستمر فى الاستفادة سياسيـــا من حرب الفناة الا اذا ظل الجمود المسكرى قائما . ولكن قرار السادات باختيار الاكتفـــاء الذاتى العربى على الصعيد المسكرى يعد بادرة على تصميم مصر على كسر الجمـــود وتقليل القيود السوفييتية الى ادنى حد . ولو سلمنا باحتمال تحقيق اعتماد ذاتى عربى ، فانه من المشكوك فيه ان السادات غير واقعى بحيث يتوقع انتصارا عربيا كاملا . واذا شمر

فى النهاية بانه قوى بما فيه الكفاية لاستئناف القتال ، فمن المحتمل ان يكون هدفه مجرد اقناع اسرائيل بانها لاتستطيع التفاوض باحتقار من مركز القوة . وفى حالة ما اذا نجحت مصر فى اخراج اسرائيل بالقوة من الموقف المتجمد الحالى على الصعيدين السياسى والعسكرى ، فسوف ينظر الى ذلك فى جميع انحاء العالم العربى على انه دفاع مجيد وتأكيد لمكانة مصر كأقوى دولة عربية . ولكن اذا لجأت الى الاختيار العسكرى وفشلت ، فان مكانتها ستكون فى وضع اخطر من ذى قبل .

وقد اسفرت المعونة العسكرية السوفييتية لمصر بحلول نهاية ١٩٧١ ، على درجة من المساواة ملائمة للتحرك نحو تسوية سياسية . وبعد ذلك ، وضعت المطالبة بالاكتفاء الذاتى موسكو فى ورطة كما رأينا . وكانت النتيجة سلسلة من المحاولات من جانب الروس لاقناع القاهرة بان التزامهم بالمساواة العسكرية كان بهدف الردع وليس لاغراض هجومية .

وقد استهدفت موسكو ان توضح للمصريين انه ليس فى وسعهم توقع الانتصار على جيش الدفاع الاسرائيلى ومن ثم لاينبغى استئناف الاشتباكات ـ وهى حجج ولدت الاحتقار العربى . فان الاتحاد السوفييتى ـ كما يصر القذافى ـ مسئول مسئولية مباشرة عن الجمود لانه لايقدم الاسلحة " الحاسمة ، وليس لديه اية ثقة فى القدرات العربية . ومن السخرية أن هذه الورطة السوفييتية قد تثبت فى النهاية انها حافز هام لتحريك الاطراف الاربعة اكثر نحو تسوية سياسية .

نوايا طيبة متبادلة ، او وضع عسكرى اقوى ..

وهكذا فان ابرز مظهر للعوامل العسكرية بعد خمس سنوات من حرب يونيو هو القوة الملحوظة التى اكتسبتها مصر بصورة مبدئية فى معاملاتها مع كل من الاصدقاء والاعداء . فقد اظهرت تصميما وارادة على استخدام ضغوط جديدة لتحقيق اهدافها السياسية : فقد يكون لحيلة طرد المستشارين السوفييت تأثير سياسى كبير بقدر تأثيرها العسكرى على نتيجة حرب القناة . ومع ذلك فان فشل جهود الوساطة الامريكية قد ضاعف عدم مقدرة القاهرة على النفاذ من المأزق العسكرى . وبرهن الفشل على ان الامر يتطلب

بشكل أوضح أو وضع عسكرى اقوى عند جانب واحد ، قبل ان يكون الحل ممكنا . فقد كان الضغط السوفييتى يشكل الرادع الرئيسى ضد اسرائيل لمدة عامين ونصف — وهو عامل استخدم بصورة متكررة لتبرير شحنات الاسلحة الامريكية . ونظرا لتزايد الوجود السوفييتى بشكل تدريجى ومايصحبه من تهديد للاسطول السادس ، كانت وشنطن تقاوم الضغط الاسرائيلى ، برغم انها ادركت التأثير المتتابع دوريا لكل امتياز يتعلق بالاسلحة . ومن الواضح ان السادات ظن ان احد الآثار الجانبية الهامة لطرد السوفييت هو ازالة العقبة الاساسية التى تعترض بذل مزيد من الجهود الامريكية لتقليل العناد الاسرائيلى . اذ تعتقد الولايات المتحدة منذ فترة طويلة ان ازالة الوجود السوفييتى فى مصر ، هو مقابل ضرورى للخفض المتبادل للاسلحة على طول القناة والتوصل الى تسوية مستقرة .

ان سحب الرادع السوفييتى قد يغرى بالنسبة للوقت الراهن على اجراء خفض من نفس النوع من جانب جيش الدفاع الاسرائيلى ، ويؤدى فى النهاية الى تخفيضات متبادلة فى القوات على طول القناة . والواقع ان رد فعل اسرائيل المبدئى على طرد السوفييت كان التعبير عن الارتياح لنجاح سياستها . فان المحافظة على تفوقها على الصعيد العسكرى دعم موقفها المتشدد فيما يتعلق بالمساومة ، دون ان يعرض للخطر مصالح هامة ، فضلا عن تعزيز ثقتها فى استطاعة جيش الدفاع الاسرائيلى الاحتفاظ بسيناء الى الابد .

ومع ذلك ، يتعين على اسرائيل الآن ان تجرى تقييما لاحتمالات المنزلة المتزايدة دوليا . ففى شهر يوليو امسك السادات بزمام المبادرة وقدم شروطا تستهدف اثارة اهتمام الولايات المتحدة فى التوصل الى تسوية . ويظن الاسرائيليون ايضا ان مصلحة السوفييت فى اتفاق يؤدى الى اعادة فتح القناة ، ربما لم تكن بهذا القدر من قبل .

واخيرا ، لابد ان تقدر اسرائيل ثمن تجدد القتال ، سواء كان ذلك نتيجة لضغوط داخلية او سقوط السادات . ومن الحكمة بالنسبة لها ان تعلن قبل اعادة فتح المحادثات السياسية وكاجراء مؤقت عن خفض كبير فى قواتها على طول القناة ، اذ ليس من المحتمل ان تستخدم هذه القوات فى المستقبل الفورى ، وقد يساهم خفضها فى توفير مناخ ملائم لاجراء مفاوضات سياسية .

متى يحين استئناف القتال ..

ولم يقابل كثير من المراقبين بكثير من الاهتمام دعوة السادات فى ديسمبر لاستئناف حربا الاستنزاف واعلان اجراءات التعبئة المدنية جزئيا . فان عدم اهتمام السوفييت بالمطالب المصرية يعتبر دائما رادعا كافيا ضد القيام بعمل متهور . ولكن من الصعب قياس الضغوط الداخلية المصرية ، وقد يشعر السادات بانه مضطر لتركيز الاضواء من جديد على القناة باستئناف القتال على نحو ما . وفى حالة عدم الوصول الى تغيير هام فى العلاقات المصرية ـ السوفييتية ، فقد يحين وقت اشد خطر ممكن لاستئناف القتال قبيل مؤتمر القمة بين بريجنيف ونيكسون وذلك حين تجرى (مصر) محاولة لتركيز انتباه العالم على العناد الاسرائيلى ، أو للحيلولة دون اتفاق الدولتين الاعظم على ممارسة مزيد من الضغط للتوصل الى اتفاق او تجاهل القضية تماما .

وقد يدفع الاحتمال الاخير السادات الى اتخاذ اجراء اكثر حسما ـ فهو لايستطيع الان ان يتحمل العزلة الدولية اكثر من اسرائيل ، وقد تكون الشهور القادمة شهورا حرجة .